

المحاضرة 03 - مراحل تطور التربية المقارنة

1- المرحلة الأولى: مرحلة وصف نظم التعليم في البلاد الأجنبية

2- المرحلة الثانية: مرحلة القوى والعوامل الثقافية

3- المرحلة الثالثة: المرحلة العلمية المنهجية

1- المرحلة الأولى: مرحلة وصف نظم التعليم في البلاد الأجنبية: تسمى هذه المرحلة بمرحلة النقل أو الاستعارة كما تسمى بالمرحلة الوصفية لاعتماد روادها على المنهج الوصفي، يعتبر جوليان راند هذه المرحلة، ومن روادها الآخرين ماثيو أرنولد (Matthew Arnold) (1822-1888) في إنجلترا، أو شنسكي (1824-1870) في روسيا، وهوراس مان (Horace Mann) (1796-1859) في أمريكا وفكتور كوزان (Victor Cousin) (1792-1867) في فرنسا وغيرهم، وكان معظم ما كتبه وما قدمه هؤلاء لم يتعد تقارير ودراسات عن التعليم في الدول الأجنبية وتنفيذ ما دعا إليه جوليان من ضرورة التوصل إلى قواعد عامة تحكم النظم التعليمية، حيث قام جميع هؤلاء بدراسة النظم التعليمية الأجنبية بهدف نقلها إلى بلادهم إذ كان من المعتقد في تلك الفترة، وهي طيلة القرن 19م وأنه يمكن نقل النظم التعليمية من دولة لأخرى، ولذلك سميت مرحلة النقل والاستعارة، وتركز الاهتمام فيها على جمع المعلومات عن النظم التعليمية، ومكانتها حتى يمكن الاستفادة من أحسن النظم، وقد تركز الاهتمام في هذه المرحلة على وصف النظم التعليمية، أو بمعنى آخر وصف مظاهر النظام التعليمي دون التعمق في تحليل جذور وأصوله دون التصدي لتفسير كنهه أو نقده والتعرف على مشكلاته، وكان معظم ما كتبه رواد هذه الفترة عبارة عن تقارير وصفية تحتوي على معلومات على النظم التعليمية دون التوصل إلى القواعد والمبادئ العامة التي أشار إليها جوليان كما سنرى:

1-1- مارك أنطوان جوليان الباريسي (Marc Antoine Jullien): به يبدأ التأريخ العلمي للتربية المقارنة، لذلك يشار إليه عادة على أنه أبو التربية المقارنة ومؤسسها، والذي أهله لذلك ما يشير إليه دارسو التربية المقارنة من منهجه التحليلي المرتب، ويصفه بير يداي (Bereday) بأنه أول دارس للتربية المقارنة يتميز بالعقلية العلمية، وأن هذا هو الذي جعله يبدأ المرحلة الأولى للتربية المقارنة، وقد ابتدع جوليان طريقة معينة تقوم على أساس تشكيل لجان أو لجنة تعليمية مسئولة عن جمع وتصنيف المعلومات التربوية باستخدام استبيانات اقترحها جوليان ثم يتم ترتيب هذه المادة في خرائط تحليلية تسمح بالمقارنة والوصول إلى القواعد العامة التي تحكم مسار النظم التعليمية ونشرها في كتابه "خطة وأفكار أولية عن عمل في التربية المقارنة"، والذي ظهر في عام

1817 وأوضح في هذه الدراسة أغراض التربية المقارنة ومن تلك الدراسة التحليلية لنظم التعليم في البلاد المختلفة إقامة نظم تعليمية محلية تختلف فيما بينها وفقا لمقتضيات الأحوال السائدة في كل بلد.

وقد اتجه جوليان وكرس جهده للإصلاح التعليمي في فرنسا، وكان رجلا عمليا، لذا رأى أن يبني خطه في التربية في إصلاح التعليم على أساس الدراسة المنظمة للواقع كما هو على الطبيعة ولتحقيق ذلك رأى أن أول ما ينبغي عمله هو التوصل إلى وسيلة يمكن على أساسها جمع المعلومات التربوية من بعض الدول المجاورة لفرنسا، وأعد لهذا الغرض استفتاءه المشهور، وكان يأمل في أن المقارنات المترتبة على هذا الاستفتاء، وقد تعين الدول المختلفة على تطوير نظمها التعليمية، وكان جوليان معتتيا بنشر المعلومات التربوية ولا سما المعلومات الجديدة والمبتكرة منها، وقد اقترح جوليان أن يجري الاستفتاء رجال يتميزون بالذكاء والنشاط والحكم السليم والخلق الكريم، في دول مختلفة على أن تنظم الإجابات التي يجمعونها في جداول تجميعية لمقارنتها، واقترح أن يضم الاستفتاء ست مجموعات من الأسئلة تتضمن ستة مجالات هي:

- التعليم الابتدائي والعام.

- التعليم الثانوي والأكاديمي.

- التعليم العالي والعلمي.

- إعداد المعلمين .

- تعليم الفتاة.

- التربية المقارنة وعلاقتها بالتشريعات والمؤسسات الاجتماعية.

ولكل قسم من هذه الأقسام أجزاء فرعين عليها أسئلة وما نشر فعلا من هذه الأسئلة يغطي كلا القسمين الأول وعدد أسئلته 120 والثاني وعدد أسئلته 146 سؤالا.

1-2- فيكتور كوزان (Victor Cousin) (1792-1867): كان أستاذ فلسفة بجامعة السربون

ومدير مدرسة المعلمين العليا في فرنسا كلفته حكومته الفرنسية بدراسة نظام التعليم العام في

بروسيا لكي تستفيد منها في إصلاح أجهزها التعليمية، وفي تقريره عام 1831 وصف كوزان

(Cousin) التربية في بروسيا وصفا مباشرا وعبر فيه عن إعجابه بجوانب كثيرة منها بصفة خاصة

ما يتعلق منها بطابعها العلماني وإدارتها المركزية وكفاءة المدارس وفعالية الأجهزة التعليمية في

تحقيق الأهداف القومية. وقد كان لهذا التقرير أثره على الآراء التربوية في كل من فرنسا وأمريكا

وانجلترا، وقد بين على أساس تقرير القانون الأساسي المعروف بقانون جيزوت 1833 الخاص

بتنظيم التعليم الابتدائي في فرنسا، وكان كوزان (Cousin) يعتقد أن عظمة الشعوب لا تتحقق بكونهم

غير مقلدين، وإنما بتقليد النافع المفيد لدى الشعوب الأخرى والاستفادة منه مهما كان وقد عين كوزان (Cousin) وزيرا للتربية في فرنسا سنة 1840. وكان تقريره ذا طابع وصفي وكان من أنصار الاستعارة الثقافية المختارة أو المنتقاة، ما دامت العناصر المستعارة مناسبة مفيدة للبيئة المنقول إليها وقد تمثلت طريقة كوزان (Cousin) في خطوات رئيسية ثلاث هي:

- دراسة كل ما يمكن تجميعه من المواد المكتوبة عن النظام التعليمي المراد دراسته.
- زيادة نظام التعليم وملاحظته في بلده على الطبيعة للتحقيق من الحقائق التي توصل إليها.
- اقتراح ما يراه مناسباً لنظام تعليمي آخر.

1-3- هنري برنارد (Henry Barnard) (1881-1900): كان من أنصار المدرسة العامة، ومعظم المواد التعليمية التي جمعها من النظم التعليمية الأخرى تاريخية وصفية، وفيما بين (1856-1881) كان يقوم بتحرير ونشر مجلة أمريكية للتربية وكانت تضم موضوعات عن التربية المقارنة، وقد حاول أن يقدم بيانات إحصائية عن النظم التعليمية، وبعض المعلومات التاريخية الوصفية ذات الطابع المقارن، وأسس أول معهد للمعلمين سنة 1839، وعمل على تحسين إعداد معلمي المرحلة الابتدائية²⁵.

2- المرحلة الثانية: مرحلة القوى والعوامل الثقافية: يعد المربي الانجليزي سير مايكل سادلر (Sir Michael Sadler) رائد هذه المرحلة كما يعد جسر للربط بين مرحلة الوصف والنقل والاستعارة ومرحلة التحليل والانتقاء والشمولية، حيث يرى أن النظام التعليمي جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع وليس نتاج لعامل تاريخي. والسؤال الذي حاول سادلر (Sadler) الإجابة عليه هو: إلى أي مدى يمكننا أن نتعلم شيئاً ذا قيمة عملية من دراستنا لنظم التعليم الأجنبية؟ وسادلر (Sadler) لا يعني الإجابة باستخدام "الاستعارة المنتقاة" بل يعني المزيد من التحليل المتعمق للسياق المجتمعي في الدولة التي تريد أن تصلح نظامها التعليمي، وهذا ما يعنيه بمفهوم "الشخصية القومية"، كأداة لهذا المدخل السادلري العديد من الأنصار حتى وقتنا الحالي، ومن أهم أنصار هذا المدخل من رواد التربية المقارنة²⁶:

2-1- إسحاق كاندل (Isaac Kandel) (1881-1965): ولد في ورمانيا وتعلم في إنجلترا ثم أنتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كان كاندل (Kandel) مهتماً بدراسة العلاقات بين النظم التعليمية والنظم السياسية في عدة مجتمعات مع تزايد تأثير القومية وظهور بوادر دولية، وقد استخدم كاندل (Kandel) في دراسته لهذه العلاقات المدخل التاريخي لتحليل القوى والعوامل الثقافية السابقة، والتي تؤثر في الشكل الحالي للنظام التعليمي، على اعتبار أن هذه العوامل والقوى الثقافية الماضية هي

التي تفسر الاختلاف بين الدول وبين نظمها التعليمية, حيث اعتمد في منهجه على ثلاث أسس: وصفي وتاريخي وظيفي والنفعي.

2-2- نيقلاس هانز (Nicholas Hans) (1888-1969): اتبع هانز (Hans) طريقة كاندل (Kandel) وحاول البحث فيما أسماه العوامل المجددة المؤثرة في نظم التعليم ووضع مفهومًا للأمة المثالية يقوم على خمس عناصر هي: وحدة الجنس, وحدة الديانة, وحدة اللغة, وحدة الأرض والسيادة السياسية, ولقد اهتم هانز بمفهوم "الشخصية القومية", وحدد ثلاث عوامل مؤثرة في نظم التعليم هي: العوامل الطبيعية مثل: الجنس واللغة والبيئة, العوامل الدينية مثل: الكاثوليكية والبروتستانتية والانجليكية, والعوامل العلمانية مثل: الإنسانية والاشتراكية والقومية.

2-3- فرنون مالينسون (Vernon Mallinson): عالم انجليزي كتب عدة مؤلفات عن علم النفس وتدریس اللغات الحديثة, وعن التربية المقارنة, أكد مالينسون (Mallinson) على أفكار كاندل (Kandel), ذلك أن لب منهج مالينسون (Mallinson) يتمركز حول فكرته عن "النمط القومي" وتأثيره في تشكيل الطابع القومي للتعليم, والنمط القومي عنده يعني تكوينًا عقليًا ثابتًا جماعيًا يضمن للأمة هدفًا مشتركًا ويشكل سلوك أفرادها, وهذا النمط يعرفنا مقدار رغبة الأمة في التغيير ومدى قدرة نظم التعليم على التغيير.

2-4- جوزيف لاواريز (J.A.Lauwerys): عالم انجليزي له دور في إثارة التفكير في التربية المقارنة, وهو من أبرز من ربطوا بين الأيديولوجيا والتربية, وقد نقد "النمط القومي" لكثرة عناصره وعدم دقتها فاختصر هذه العناصر في عامل رئيسي هو العامل الفلسفي أو الأيديولوجي, وقد ربط لاواريز (Lauwerys) بين الجانب الفلسفي للأمة وبين التربية المقارنة ونظمها من حيث نوعية المدارس وكيفية تنظيمها وإدارتها ونوعية المناهج وأساليب وطرائق التدريس المتبعة.

تعقيب: ساعدت هذه المرحلة في تفسير العلاقة بين نظم التعليم وسياقها الثقافي, وهي بذلك تجيب على سؤال لماذا يمكن الاختلاف والتشابه بين النظم التعليمية؟, وجاءت الإجابة في "الشخصية القومية", و"النمط القومي", واختلاف القوى والعوامل الثقافية المؤثرة في نظم التعليم. وترى هذه المنهجية أن نظم التعليم تابعة للنظم المجتمعية الأخرى في المجتمع وتتأثر بها دون أن يكون لها الحق في تغيير "الشخصية القومية", أو "النمط القومي" الحاكم أما مسألة إمكانية التنبؤ بنجاح عمليات النقل أو الموائمة؛ فإن ذلك يعتمد على الإطار الثقافي الحاكم ومدى قدرته على التغيير أو اللاتغيير, هل تؤثر نظم التربية في المجتمع أم المجتمع هو الذي يؤثر في نظم التربية؟.

3- المرحلة الثالثة: المرحلة العلمية المنهجية: بدأت هذه المرحلة بانتهاء الحرب العالمية الثانية (1945) حيث شهد العالم العديد من عمليات التغيير والتطور التي انعكست على التربية المقارنة

كمجال بحثي هام وضروري في تلك العمليات, وتحول هدف المنهجية العلمية في التربية المقارنة إلى زيادة قدرة التربية المقارنة كعلم على التنبؤ والتوجه نحو المستقبل, وبالتالي زيادة قدرة التربية المقارنة على أن تتحول إلى علم إيجابي يمكن أن تساهم بفعالية في التخطيط وصنع القرار التعليمي وعمليات تنفيذه.

وهنا يمكن القول أنه إذا كان هدف التربية المرحتين هو الوصف ثم النقل والاستعارة ثم محاولة ضبط هذا النقل بالرجوع إلى القوى والعوامل الثقافية, فإننا نزعم أن هذه المرحلة كانت تحاول خدمة المستفيدين في علاج مشكلات قائمة أما هذه المرحلة فهي تحاول التنبؤ بالمستقبل والتخطيط له للتغلب على ما قد يطرأ من مشكلات واللاحق يركب التقدم والمنافسة العالمية وأهم الرواد المعاصرين²⁷.

3-1- أرثر موهلان (A.Moehlman): أستاذ التاريخ والفلسفة والتربية المقارنة بجامعة تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية, دعا موهلان (Moehlman) العلماء من التخصصات وثيقة الصلة بالدراسات التربوية المقارنة إلى أن يتعاونوا لفهم النظم التعليمية فهما أفضل وهذا بهدف " التحليل الدقيق للمشكلات المشتركة بين نظم التعليم في العالم, وتعتمد منهجية موهلان على تشكيل إطار نظري", تبنى عليه عمليات التحليل وهذا بهدف التحليل المنظم للاتجاهات المعاصرة والعوامل طويلة المدى مما يضمن توجهات مستقبلية صحيحة, ويتم ذلك بعمل توازنات بين البراهين التجريبية المتاحة حالياً وتأثيرات القيم الثقافية المستمرة, ويسمى موهلان ذلك بقانون الشكل أو التركيب الذي يساعد على دراسة النظم التعليمية ليس فقط كوحدة تاريخية متطورة.

وتقوم منهجية موهلان على عدة مسلمات منها:

- أن النظم التعليمية توجد بعمق في الثقافة.

- النظام التعليمي يتمثل بعمق في الثقافة الطبيعية.

وبسبب ذلك هناك طريقتين للدراسة:

- دراسة المجتمع الذي يشمل النظام التعليمي.

- دراسة مشكلات تتعلق بالنظام التعليمي.

والواقع أن نموذج موهلان رغم محاولته إلى أن يكون علمياً, إلا أنه شديد التعقيد صعب التناول والتطبيق.

3-2- جورج بيريداي (G. Bereday) : (1920-): من أصل بولندي ودرس في إنجلترا يعتبر كتاب جورج بيريداي (G. Bereday) " الطريقة المقارنة في التربية" أول محاولة عملية جادة للبحث عن هوية للتربية المقارنة فقام بتعريفها من خلال طريقتها ومنهجها, ويعتبر بيريداي (Bereday)

نقطة تقاطع هامة في تاريخ التربية المقارنة بين مرحلة سابقة تقوم على الوصف، والمدخل التحليلي التفسيري الواسع ومرحلة أخرى تقوم على وضع فروض واختبار صحتها.

المنطقات الأساسية لمنهج بيريداي (G. Bereday) :

- دراسة نظم التعليم الأجنبية تساعدنا على معرفة الشعوب الأجنبية وفهم أنفسنا أيضا.
- تعد التربية المقارنة تمهيد يسبق عمليات نقل النماذج الأجنبية من خلال قيامها بالتحليل الثقافي.
- في ضوء عمليات التحليل الثقافي يمكن القيام بعملية "التنبؤ"، أي بنجاح أو فشل إصلاحات تعليمية ثبت نجاحها في ظروف وعوامل ثقافية مشابهة.
- الاهتمام بالتحليل الشامل ويعني دراسة التأثير الكلي للتربية على المجتمع من منظور عالمي.
- استناد منهج بيريداي (Bereday) إلى المنهج الاستقرائي.
- يميز بيريداي (Bereday) بين نوعين من الدراسات في مجال التربية المقارنة.
- **الدراسات المجالية أو المنطقية:** تدرس منطقية صغيرة (بلد واحد) وقد تتسع لتشمل قارة بأكملها إذا كان بين بلادها خصائص مشتركة، وهذا الدراسات من المتطلبات الأولية للدراسة التحليلية المقارنة ومهمتها تدريب وإعداد الباحثين في التربية المقارنة.
- **الدراسات المقارنة:** وهي تتعلق بعدة دول أو مناطق في نفس الوقت وهي استكمال للخطوتين السابقتين (الوصف والتفسير) بخطوتين هما مرحلة المقابلة ومرحلة المقارنة.

تحول هدف التربية المقارنة في مرحلة المنهجية العلمية إلى زيادة قدرتها كعلم على التنبؤ والتوجيه نحو المستقبل، فظهرت فائدتها كعلم قادرا على التخطيط واتخاذ القرار في السياسة التعليمية، ومنذ منتصف العقد الخامس سنة 1945م بدأت اليونيسكو تسهم بنشاط في الدراسات المقارنة وبمطبوعاته التي نشرها عن التربية ومشكلاتها في بلاد العالم المختلفة، وكثير من المواد التي ظهرت في ميدان التربية المقارنة، كانت بالضرورة ذات طابع وضمني تحليلي منها: ما كتبه كاندل (Kaindle) 1933م بعنوان دراسات في التربية المقارنة (Studier in comparative éducation)، وفي سنة 1939 نشر مايو (A.meyer) كتابه عن تطور التعليم في القرن 20 وفي سنة 1949 نشر هانز كتابه عن التربية المقارنة (Comparative éducation) وفي سنة 1951 نشر مهلمان (Mohlman) وروسيك (rouceek) كتاب التربية المقارنة (Comparative éducation) وفي سنة 1956 نشر كرامر (Cramer) وبروان (Brown) الطبعة الأولى من كتاب التربية المقارنة Comparative éducation²⁸.